قوامة الرجل على المرأة

الرجل منذ نعومة اظافره يشعر برجولته وحبه لامتلاك الأنثى التي ستصبح زوجته بعد ذلك وبالتالي فهذا الجانب جانب فطري لا جانب تربوي، ولكن التربية هي في تهذيب هذا السلوك .

إن القوامة للرجل على الأنثى تكون في واجباته وحرصه عليها مثل مدير العمل، الذي يوجه لمصلحة العمل، وقد يكون مخطئًا ومسيئًا في تصرفه أو مخالفًا تمامًا لأصول العمل ومثل الوالد على ولده، فهناك حقوق وواجبات على جميع الأطراف بحكم المكانة أو الخبرة أو الصلة بين الأطراف .

وبالتالي هو المسئول عنها وعن كل حالها حين تنسب إليه وبالتالي تكون عليه الواجبات أمام الناس أكثر وهو ما يدفعه إلى أن يقوم بهذا الدور .

ومع ذلك لا يملك كل الرجال القوامة على كل النساء .فالقوامة قد جاءت بالزواج وهو ما كان من المفترض أن يتم باختيار الزوجين وبرضاهما اللهم إن لم يكن عن حب وإعجاب .

والرجل من خلال هذه الواجبات يحتوي المرأة بكل ما فيها من ضعف وما فيها من تقلبات وكذلك المسئولية الاجتماعية عنها، وكل ذلك ليس إلا عبئًا ومسئولية على الرجل اتجاه المرأة كأخ أو أب أو كزوج

ربما كان هناك مَنْ ليس أهلًا للمسئولية فهذا ليس معناه أن كل الرجال على هذا الفصيل، ولكن حين نتكلم فإننا نتكلم عن الفطرة أو الشيء الذي اعتاد الناس عليه .

روي أن رجلًا جاء إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشكو خلق زوجته فوقف على بابه ينتظر خروجه فسمع امرأة عمر تستطيل بلسانها وتخاصمه، وعمر ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل راجعًا، وقال إن كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته وهو أمير المؤمنين فكيف حالي، وخرج عمر فرآه موليًا من بابه فناداه وقال ما حاجتك أيها الرجل؟ فقال يا أمير المؤمنين جئت إليك شاكيًا سوء خُلق زوجتي فرأيت ما رأيت فقلت إن كان هذا حال أمير المؤمنين فكيف حالي فقال عمر :يا أخي إني احتملتها لحقوق لها على أنها لطباخة لطعامي خبازة لخبزي غسالة لثيابي مرضعة لولدي وليس ذلك كله بواجب عليها، ويسكن قلبي لها عن الحرام فأنا أحتملها لذلك فقال الرجل :يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتي فقال عمر فاحتملها فإنما هي مدة يسيرة.

قال تعالى) :الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم (

والرجل الذي يطالب بمساواته بالمرأة هو رجل غير سوي ذو طبيعة أنثوية، والمرأة التي تطالب بمساواتها بالرجل هي امرأة غير سوية ذات طبيعة ذكرية.

قال ابن كثير :الرجل قيم على المرأة أي هو رئيسها وكبيرها والحاكم عليها..ومؤدبها إذا اعوجت ..فقوامة الرجل على المرأة لا تعني القهر والجمود والاستبداد، ولا تعني إهدار

شخصية المرأة وأهليتها وكرامتها ومقومات إنسانيتها، وإنما هي سلطة أعطيت للرجل مقابل المسئولية التي حملها تطبيقًا للقاعدة الشرعية التي تقول السلطة بالمسئولية فهي رياسة المسئوليات لا التحكم الذي يجور على حقوق العدل والمساواة والشورى رياسة تتلقى عبء النفقة وعبء الحماية على الرجل.

وتعترض د /نوال سعداوي على هذه القوامة قائلة) الطاعة مفروضة على الزوجات بقوة القانون أي قوة الدولة والسلطة الحاكمة وقوة الدين أيضًا وكذلك لا بد من قمع النساء جسديًا وعقليًا للخضوع حسب نظام الرق والعبودية أصبح اسم الزوجة الرقيقة تعني العبدة، وأصبح من حق الدولة أن تقطع بعض أعضائها الجنسية بالقوة والعنف تحت اسم العفة والأخلاق، وأدرك الأب البدائي أن أبوته غير مؤكدة طالما هو يشك في سلوك زوجته، وقد أراد أن يقطع الشك باليقين عن طريق قطع أعضاء المرأة الجنسية دخلت هذه العملية الوحشية في التاريخ .

فالمرأة في أغلب الأحيان لا يرضيها أن تكون هي صاحبة الأمر أو المسئولة عن تولي زمام الأمور أن تكون بمعنى آخر أما لزوجها فذلك يشعرها بأنها تعيش مع شخص ضعيف الشخصية أو طفل يجعلها تحس بالضيق والملل؛ لأن ذلك يتعارض مع حاجتها الفطرية كأنثى تعيش في كنف رجل قوي يهيمن عليها بشخصيته فتكون في حمايته لا العكس .

وذهب المفسرون إلى أن معنى) وللرجال عليهم درجة (أنها درجة الإعفاء عن بعض الهفوات والتسامح مع بعض التقصير من المرأة، فالمرأة تمر عليها في كل شهر دورة شهرية وربما كانت مرهقة أو متوترة الأعصاب بسبب نزول دم الحيض أو وحم الحمل أو آلام النفاس أو ضعف الحمل والولادة والرضاعة وكل ذلك يحتاج من الرجل الإيناس والمشاركة والتعاون، الذي يهون على المرأة الكثير من آلامها .معنى) وقرن في بيوتكن(ومعناها اقررن في بيوتكن أي من شأن المرأة السليمة القرار في البيوت والمكوث فيه لإدارة شئون ورعاية الأطفال وتوجيه النشء .. لكن يباح للمرأة الخروج لأداء عمل أو حضور مجلس علم أو الترويح عن النفس أو غير ذلك مثل واجبي زيارة الوالدين أو صلة الرحم .

إن أفضلية الذكر على الأنثى أوجدتها الفطرة الطبيعية وأقرتها الأديان السماوية، وهذه الأفضلية لصالح المرأة بل ترحب بها المرأة ولا ترفضها وتحبها، وهي تكره وتحتقر الرجل الذي لا ترى فيه هذه القوامة، التي تأنس المرأة إليها وهي بمثابة الاطمئنان النفسي بالنسبة إلى المرأة .

ويخطئ مَنْ يظن أن المرأة ترفض قوامة الرجل بل إنها تحن إليها كما تحن إلى الرجل نفسه وتجد في هذه القوامة لذة ومتعة ولذلك فإن المرأة تمقت وتحتقر الرجل المخنث، وتحترم في الرجل الرجولة والفحولة والنخوة، وتخضع لها حتى لو كانت أكثر علمًا من الرجل وأوفر ثراءً وأعظم جاهًا ومركزًا ومنصبًا .

تفيد آيات القرآن ونصوص الأحاديث والأخبار وروايات الأدب العربي أن العربي قبل الإسلام كان صاحب المركز الممتاز في الأسرة وربها، والمسئول عن حياتها ورونقها وشئونها وسلامتها، وهو المكلف بالحرف والمطالب بالثأر والمغرم، وهو المخاطب في المسئوليات

والتبعات الاجتماعية المتنوعة، وكانت المرأة من حيث العموم تابعة للرجل ومنسوبة إليه ومسيرة بأمره، وكان هو الذي يمثلها في مصالحها الخاصة .

إن الرجل بالنسبة إلى المرأة في العصر الحديث لم يعد حال المالك لها والمسيطر عليها، وهو حال السيد للعبد بل تغير تمامًا إلى حال المالك لعواطفها ومشاعرها فإن لم يستطع فقد خسرها كزوجة...وكانت حياته معها حياة تقليدية أو عقيمة .

وبالتالي يسعى الرجل الحقيقي إلى أن يمتلك هذه العواطف بالأسلوب وبالجد والاجتهاد في العمل والسعي وراء أن ينال حب هذه المرأة التي سيطرت على خلجاته وامتلكت فؤاده...وغيرت مجرى حياته ...وأصبحت اللبنة الأولى لأسرته الجديدة.

كما أن معاملة المرأة خارج منزل الزوجية هي معاملة المشاركة والتقدير وكسب الثقة فهي ليست علاقة قوامة وسيطرة فالرجل والمراة في الحقوق سواء، ولكن لكل واحد دوره، وما يتناسب مع طبيعته التي فطره الله عليها فحتى في مكان العمل تجد أن الجميع يقتنع أن يحجب بعض الأعمال عن المرأة ليس إهانة لها بل تقديرًا لجنسها ولطبيعتها الأنثوية، ويكلفون بها الرجال، وكل هذا هو محافظة عليها لا إهانة لها...ومع ذلك فإن ضعف المرأة يدفع الرجل دائمًا إلى القوة وإثبات الذات، ويكون في كل العصور وسيلة دافئة لعبقرية الرجل وتميزه .

والرجل مسئول عن المرأة مسئولية رقابية وتوجيهية وتربوية في حال كونها ابنته...كما أن الرجل مسئول عن إخراج الدوافع الإبداعية عندها وإزهاق الدوافع الإجرامية لديها...وبالتالي يكون صلاح حالها هو اكتمال لرجولته كزوجة وكأب وكأخ وكزميل في العمل .

أما عكس ذلك فهو إما حق أو قصور أو خلل نفسي أو رجعية أو تعصب للجنس أو سيطرة من الحاقدين على فكرة...وفي كل هذا سيكون الخاسر هو الرجل والمرأة على السواء .

لأن فساد حال المرأة لن يدفع ثمنه غير الرجل؛ لأنه بحكم رجولته سيكون الواصي عليها والمسئول عن دمارها النفسي أو الأخلاقي أو الجسمي أمام نفسه وأمام المجتمع .

ومع هذا فإن الإسلام قد جعل المودة والرحمة هي الرابط بين الزوجين، وجعل على الزوجة حقوقًا وعلى الرجل حقوقًا اتجاه زوجته، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته وكذلك على الآخرين اتجاههم فلا يتدخل أحد لإفساد الحياة الزوجية بينهما .وقال) صلى الله عليه وسلم ("ومَنْ أفسد امرأة على زوجها فليس منا "

وقال) صلى الله عليه وسلم " (خيركم خيركم لنسائهم "

وكان) صلى الله عليه وسلم (في مؤنة أهله يعني خدمه فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة .رواه البخاري .

يستحب للزوج أن يضع جبينه على زوجته، ويقول اللهم إني أسألك خير ما جبلت عليه وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلت عليه .

وقال) صلى الله عليه وسلم " (أيما امرأة مات وزجها راض عنها دخلت الجنة "

وإذا باتت المرأة هاجرة فرش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح " متفق عليه . وقالت عائشة عن النبي) صلى الله عليه وسلم (كان إذا خلا في بيته بسامًا ضاحكًا "

وثلاثة حرم الله عليهم رائحة الجنة شارب الخمر والعاق والديوث الذي يقر في أهله الخبث " رواه احمد في مسنده .

وقال) صلى الله عليه وسلم " (استوصوا بالنساء خيرًا فإنما هن عوان عندكم ليس تملكون منهم شيئًا غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة ضربًا غير مبرح بينة فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا " أخرجه أصحاب السُّنن وهو حديث حسن صحيح .

وقال) صلى الله عليه وسلم " (إذا خرجت المرأة من بيتها وزوجها لها كاره لعنها كل ملك في السماء وكل شيء مرت عليه غير الجن والإنس حتى ترجع " ولنتذكر وزوجها لها كاره .

دخلت عجوز من بني عامر على النبي) صلى الله عليه وسلم (وعنده عائشة فسألها النبي)صلى الله عليه وسلم (فقالت إحدى خالاتي فقالت يا رسول الله ادع الله لي أن يدخلني الجنة فقال) صلى الله عليه وسلم " (إن الجنة لا يدخلها عجوز فبكت العجوز فقال) صلى الله عليه وسلم " (إن العجوز لا تدخل عجوزًا فإن الله تعالى ينشئها خلقًا آخر فيدخلها شابة بكرًا، وتلا عليها قول الله تعالى إنا انشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارًا "

هناك فريق يحسب فضيلة الفاعل أي الزوج بمثابة العزة والكرامة فيعد المنفعل في ذاته ذليلا ممتهنًا، وآخر يفكر بالمرة تلك الفضيلة الخصوصية بالفاعل فيريد أن يحدث في المنفعل أيضًا تلك الصفات، التي يجب أن تكون في الفاعل، ولكن الصانع الحكيم الذي قد صنع الكونو قد وضع مكانتها على نحو يضمن لهما المساواة والكرامة والعزة وفي العناية والتربية، ويضمن لهما مع ذلك أن تنشا فيهما صفات الغالبية والمعارضة والمعلومية التي يقتضيها الطبع للفاعل والمنفعل في الزوجين لتحقيق غاية المزاوجة بينهما .

وعن قوامة الرجل يقول الإمام محمود شلتوت :

ونود أن نسأل هل من كرامة الرجل أن يهرع إلى طلب محاكمة زوجته كلما انحرفت أو خالفت أو حاولت أن تنحرف أو تخالف، وجدير بالمرأة أن تجيب على هذا السؤال أتقبل أن يهرع زوجها كلما وضعت في شيء من المخالفة إلى أبيها أو إلى المحاكم وينتشر ثوبها أمامه .

بر الأمهات

عن معاوية بن جاهمة السلمي قال أتيت النبي) صلى الله عليه وسلم (فقلت إني أردت الجهاد معك أبتغي وجه الله والدار الآخرة قال أحية أمك " قلت نعم قال ارجع إليها فبرها ثم أتيته من الجانب الآخر فقلت وذكر قوله الأول قال أحية أمك؟ قلت نعم قال ارجع إليها فبرها " ثم أتيته